

رأي الغد

العراق وتموز!!

مرت قبل أيام الذكرى المفرحة العطرة السادسة والاربعين لثورة (١٤) تموز/١٩٥٨، وقبلها ب (١١) يوم مرت الذكرى المؤلمة الشامخة الحادي والاربعين لانتفاضة (٣) تموز/١٩٦٣، ومرة قبل يومين الذكرى العفنة الغادرة السادسة والثلاثين لذكرى الانقلاب الاميركي البريطاني البعثي الصدامي في (١٧) تموز/١٩٦٨. وهل هي من صدف التاريخ أن يكون احد أيام تموز، وهو الرابع منه، ذكرى استقلال عدو العراق الاول وسبب مأساته، الولايات المتحدة، من الاحتلال البريطاني، واذا بكليهما في العراق بجيوش جرارة في احتلال كرية. وهل هي من صدف التاريخ أيضاً أن يكون (١٤) تموز يوم سقوط الباستيل وبدأ الثورة الفرنسية التي قلبت مفاهيم اوربا. هل تموز الاله البابلي الذي يعود لازدهاره وحضرتة وربيعه كل عام ثم يرجع ثانية الى العالم الاسفل، تاركاً الانسان العراقي في كفاحه ونضاله ليخلق الظروف لتموز الامل والنضارة والابتسامة ليعود من جديد.

نحن هنا بالتاكيد لا نريد أن نزيد الم العراقيين وحزنهم، فعندهم الكفاية واكثر، لذا نمر مروراً سريعاً على آتبع فترة في تاريخ العراق، منذ مجيء النظام في ١٧ تموز/١٩٦٨ والى سقوطه في نيسان/٢٠٠٣، وفي كلا الحالتين تم الامر على يد الامبريالية الاميركية وتابعتها بريطانيا. فلقد أنهى ذلك النظام العراق، بشهره وامكانياته الاقتصادية ومستقبله الذي كان يمكن أن يكون مشرقاً. فالغالبية العظمى جداً من العراقيين تتذكر، بمرارة وغضب وغصة وروحية في الانتقام، ممن اوجده وادامه وسيره اذ لا يخلو بيت من قتل او تشريد او سجن او فقر او اهانة والم بسبب ذلك النظام.

كذلك، وبرغم الفخر والاعتزاز ورفعة الرأس التي نشعر بها كلما مر بنا، فاننا لانتكلم في هذا المكان عن انتفاضة (٣) تموز/١٩٦٣ وبطلها حسن سريع ورفاقه. اذ قلما يوجد في التاريخ نظير هذه الانتفاضة الباسلة، وقلما تجد شجاعة ونكران ذات كما في مثل هؤلاء الابطال. فوسط الدماء التي استمر يريقها الحكم الفاشي البعثي الاميركي الاول، ورغم امتلاء السجون والارهاب اللامثيل له، ترى بريق ولهيب ساطع وطريق منير، وهم كوكبة حسن سريع. وكانوا قريبين جداً لتحرير سجناء رقم (١)، ولكن العراق عند ذاك شكلاً آخر... ولكن انتهوا شهداء لتموز!!.

هنا نريد أن نتكلم قليلاً عن (١٤) تموز العراق.. وهي وإن بدت كاتقلاب عسكري بقيادة بطلها عبد الكريم قاسم، ولكن الغرب قبل العراقيين كان يدرك أنها ثورة بكل المفاهيم.. ثورة شعبية وتقدمية، وفي حالة نجاحها في تحقيق مضامينها كاملة، ستؤدي الى تقويض جميع النظم الرجعية في المنطقة. فبرغم العمر القصير لها والذي لايتجاوز الاربعة سنوات ونصف، ورغم المحاولات المستمرة للاطاحة بها او تفتيت قواها، فانها قامت باصلاحات جذرية في المجتمع العراقي. لقد اصدرت قانون الاصلاح الزراعي ونفذته بكفاءة وجماهيرية عالية، فحررت الفلاح وصانت كرامته واعطته ارضه، وانتهت المفاهيم الاقطاعية والعشائرية. واصدرت قانون الاحوال الشخصية ونفذته رغم محاربة القوى الرجعية وممن يدعون الان بحقوق المرأة من الاجانب، فحررت بذلك، ولاول مرة في المنطقة المرأة من ظلم وتعسف وعادات الالف السنين من القهر، فكانت الرائدة في الحصول على حقوقها الطبيعية ومساواتها بالرجل، ولهذا كان الهم الاول للرجعية في انقلاب الردة، في ٨ شباط، في اسقاط هذا القانون الرائد. واهتمت ثورة تموز بالعمال والفقراء وحقوقهم، وما مدينة "الثورة" الا مثال صغير لما تم في اسكان اهل الصرائف والاكواخ وفقراء بغداد. لقد تم توزيع الاراضي والاموال اللازمة للبناء لاعداد غفيرة من ذوى الدخل المحدود والموظفين، وتم ايصال الكهرباء والماء للاحياء الفقيرة في المدن والارياف. لقد توسع التعليم، ومجانيته، وبكل مراحلها، ودخل مئات الالوف الى المدارس، وإن الاعداد الهائلة من الاطباء والمهندسين والخريجين من اولاد الفقراء، هم ابناء تلك المرحلة التاريخية. لقد اصبحت جميع دوائر الدولة، وبضمنها الجيش، مفتوحة لكل فئات الشعب، ولعلها الفترة الفريدة والتي لم يتكلم احد فيها عن القهر الديني او الطائفي او القومي. ثم اتجهت نحو الامور الاساسية جداً، فاصدرت القانون النفطي رقم ٨٠ لسنة ١٩٦٠، حيث امنت ٩٩,٥٪ من اراضي العراق الغير مستغلة من قبل الشركات، ووضعت الاسس لقانون شركة النفط الوطنية.. وهنا دخلت في الخطوط الحمراء جداً.

إن هذه الامور يجب أن لا تنسينا الاخطاء، والتي تأتي على رأسها الانفراد بالسلطة، وتهميش قوى كان من الممكن احتواءها لأنها كانت ضد الاجنبي. إن ضغوط الامبريالية، والدول المجاورة والقوى المناوئة، عززت من مفاهيم الانفراد بالسلطة وصعود الانتهازين ومن لهم علاقات مشبوهة، والذين اشعلوا المشاكل والتي ادت الى الاطاحة بها. لقد عجزت الثورة عن حل المسألة الكردية، والتفاهم مع قواها. وانقلبت الحركة الكردية من اكبر مؤيدي ثورة (١٤) تموز الى تأييد من اطاح بها. وابتعدت بل قهرت القاعدة الاساسية والجماهيرية للثورة وهم الشيوعيون واليساريون وحاولت عزلهم. ولم تستطع أن تستوعب القوى القومية المناوئة للامبريالية... كل ذلك ادى الى اليوم المشؤوم (٨) شباط/١٩٦٣.

منذ أن بدأت الثورة والامبريالية الاميركية هي اللولب واليد المحركة والدافعة للاطاحة بها. فلقد كانت ثورة تقدمية، وفي ذلك الوقت فإن الشيوعية والاتحاد السوفياتي كانا العدو الاول للامبريالية. لذا عملت اميركا لتجميع كل الفئات الرجعية والقومية والدينية السياسية لضرب الثورة. ورغم سقوط الثورة في (٨) شباط، ولكن معظم مفاهيمها في محاولة ابعاد الاجنبي واستغلال النفط وطنياً، ظلت متصلة في الجماهير، واضطر الاجنبي بالنتيجة أن يحتل العراق، في ٢٠٠٣، لكي يحقق ما يريد.. ورغم الاحتلال لم يستطع ذلك! فإن ذكرى (١٤) تموز تمر للمرة الثانية في العراق والاجنبي يصول ويجول في بلادنا، يقتل ويقصف ويسجن ويرهب، رغم ذلك لم يحقق ما كان يصبو اليه.. ولكن ما يؤلم هو أنه موجود، وهناك من يستقبله ويؤدي له التحية والاحلال. وإن هذا الامر يذكرنا بالمبعوث الاميركي "رونترى"، وهو المبعوث الذي قام بجولة في منطقة الشرق الاوسط لتطويق ثورة (١٤) تموز، وكان ضمن منهاج زيارته العراق الجديد!! هناك ممن تجاوزت اعمارهم الستين عاماً يتذكرون كيف استقبل العراقيون مبعوث عدوهم اللدود "امريكا"، وكان استقبالاً "حميماً" يليق بالمقام، مما اضطره للهرب من الباب الخلفي للمطار وبسيارة مغلقة، وكان أن وجه اليه المرحوم الجواهري "التحية" في القصيدة المشهورة والتي نشرت في حينة في جريدته "الرأي العام" في ١٦/١١/١٩٥٨ قائلاً:

يا رسولَ الشرِّ والدنِّسِ
يا نذيرَ الشؤمِ يَحْمِلُهُ
وَعَتَ الدُّنْيَا فَمَتَّ كَمَدًا
وعلت راياتها شرفاً
وغرابَ البينِ في الغلسِ
بين جنبيه مع النَّفسِ
يا لواءَ البغي، فانتكس
ولا تدنسه ولا تدسْ
وطني في طهره عبقْ

واليوم وبعد مرور ما يقارب من (٤٦) سنة على هزيمة مبعوثهم من الباب الخلفي للمطار، فلا يزال رئيس دولتهم او قادتهم يدخلون ويخرجون من الابواب الخلفية العراقية، وفي الليالي الظلماء، وبرغم وجود ما يزيد عن (١٥٠) ألف من جنودهم، ووجود حكومة "عراقية" مؤيدة لهم حتى النخاع !! وما يزيدنا الما على الم، هو ان نرى من يفخرون بالكلام الان عن

تكلمة لما جاء ص ١

العراق وتموز!!

نضالهم وشهادتهم؟... يرون "سمة العصر" و"الامر الواقع" !!

بئس "سمة العصر والامر الواقع".. اذ كانت كذلك فهي المهانة والمذلة والجوع والحرمان والبطالة وتقبييل الارجل للاجنبي الذي تأمر على العراق في كل مراحلها وسبب جميع مآسيه.. وخلق جميع قاتليه... ولايسعنا اليوم الا ان نقول لشهدائنا... لم تذهب دماؤكم هباء، برغم مذلة البعض... فلايزال هناك الكثير من يقول كلا للمذلة ولل فقر، ولايزال هناك الكثير من يريد ان يبني العراق الحر السعيد!!

الغد

شهادتهم وماضيهم التليد في تموز، يصفقون للرايات الامريكية، ويلهثون وراء ممثليهم في العراق، ويستقبلون من ياتي بالاحضان، ويدافعون عن افكار الامبريالية ومفاهيمها، في "العولمة" المنغلقة، بحجة "سمة العصر"، والامر الواقع" !!

واليوم لو يستيقظ شهدائنا... عبد الكريم قاسم وحسن سريع وسلام عادل وجمال الحيدري وخالد احمد زكي والاف الشهداء الاخرين منذ (١٤) تموز ولحد الان، ولو يستيقظ الجواهري وغيره ممن احبوا العراق، ماذا يرون نتيجة